القدرات العقلية والفكرية والإدراكية عند الحيوانات والجماد

محمد سعد زغلول سالم

الخميس ٦ يناير ١٩٧٢

يثيرُ تدبُّرُ آياتٍ عديدة فى القرآن الكريم تساؤلاتٍ كثيرة عن إحتمال إمتلاك بعض الحيوانات قدرات عقلية وعن إمكانية أن تتيحَ هذه القدرات لها القيام بعمليات فكرية معقدة قريبة الشبه بمثيلاتها لدى البشر. فحديث النملة إلى بقية النمل الذى ينم عن فهم وإدراك لما قد يتعرضون له من خطر ونصحِها لهم بتجنبه مثلما جاء فى الآية الكريمة (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) .. وحديث الهدهد إلى سيدنا سليمان والذى يتضمن معرفته لأمورٍ لا يعرفها سيدنا سليمان نفسه كما فى الآية الكريمة (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) كما يتضمن معرفته بعقيدة التوحيد فى قوله (وجَدْتُها وقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ) .. وقوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) و (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) و (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولكن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) .. كلها آياتُ ُ تشير إلى إمتلاك الحيوانات والطيور لقدرات عقلية وفكرية تمكنهم من المعرفة والإدراك والفهم ليس فقط لما يجرى حولهم من أحداث بل وأيضاً للمعانى المتضمنة فى مغزى حياتهم ووجودهم مثلما يتضح من معرفتهم بوجود الله وإيمانهم به وصلاتهم وتسبيحهم له وهو ما يكشف عن إدراكهم لعظمتِه وإقرارهم وتسليمهم وحمدِهم له.

كما يثيرُ تدبُّرُ آياتٍ عديدة آخرى فى القرآن الكريم تساؤلاتٍ مماثلة عن إحتمال وجود أنظمة مختلفة للمعرفة والفهم والإدراك والإستجابة أيضاً عند الجماد. فالآية الكريمة (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) تثيرُ تساؤلاتٍ يقف العقلُ حائراً ازاءها عندما يحاول التفكير فى كيفية إدراك السموات والأرض والجبال لكُنْه هذه الأمانة وإدراكهم لِثِقَلْ وطأتها وإحجامِهِم عن قبولِها وعن تكليفهم بها وهو ما لم يدركه الإنسان الذى قَبَلَ حمْلِها بسبب جَهْلِه. والآية الكريمة (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) تثيرُ تساؤلاتٍ مماثلة عن كيفية تسبيح السماوات والأرض وكل ما فيهما من أفلاك وموجودات مالم تكن قادرة على المعرفة والفهم والإدراك لمعنى ومغزى وجودها وإيمانهم بالله وتسبيحهم بحمده وعظمته على الدوام كما يبينُ من تدبُّر معانيها. وهى نتائج مماثلة لنتائج تدبُّر العديد من الآيات الأخرى التى تشير إلى إمتلاك الجمادات أيضاً مثلها فى ذلك مثل الإنسان والحيوان والنبات لقدراتٍ عقلية وفكرية وإدراكية تتيحُ لها معرفة وإدراك وفهم أوامر الله وطاعتها المطلقة والكاملة وإستجابتها لها والتى تتجلى فى ظواهر الحياة والوجود التى تحدث دون تدخل من الإنسان فى تسبيبها كدوران الأفلاك ونزول المطر وحدوث الزلازل والبراكين وغيرها من الظواهر التى تحدث وتتكرر منذ بدء الخلق وحتى الآن بغير توقف أو إنقطاع.